بناء الشخصية الإسلامية في فكر الإمام الهادي عليه السلام

الدكتور خليل عبد السادة إبراهيم الهلال
أستاذ، رئيس قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف
Khaleel.alhelali@iunajaf.edu.iq

Building the Islamic Personality in the Thought of Imam Al-Hadi (peace be upon him)

Dr. Khaleel Abdul Sada Ibraheem AL.helal
Professor, Head of the Department of Islamic Education, College of Education,
Islamic University - Najaf

الملخص:-

اهتمت الدراسات المختلفة بالفرد قبل اهتمامها بدراسة ما يرجى من الافراد تحقيقه في ميادين الحياة المتعددة، رغبة في أن يكون البناء بناء سليما قويا ثابتا أمام تحديات الزمن، وتقلبات الظروف، وذلك لأنّ الفرد (الشخصية) ركيزة أساسية لبناء الوحدة التي يقوم من تجميعها المجتمع بناء سليما، وبالتالي بناء الوطن، لذا أصبح من الضروري مراعاة الأسس التي تبنى عليها (الشخصية) التي يراد لها أن تكون قائدة من قواد المسيرة، التي تحاول، ومتابعة مسيرها في درب الوصول إلى الهدف المراد.

الكلمات المفتاحية: الإمام الهادي عليه السلام، الشخصية الإسلامية، الوحدة، بناء الوطن، تحقيق الأهداف.

Abstract:-

Various studies have focused on the individual before focusing on what individuals are expected to achieve in various fields of life, in the desire for the building to be a sound, strong and stable building in the face of the challenges of time and the fluctuations of circumstances, because the individual (personality) is a basic pillar for building the unit that society assembles to build a sound building, and thus building the nation, so it has become necessary to take into account the foundations on which the (personality) is built, which is intended to be a leader of the leaders of the march, which tries, and follows its path on the path to reach the desired goal.

Key words: Imam al-Hadi (peace be upon him), Islamic personality, unity, building the nation, achieving goals.

المقدمة:

اشارت كثير من الدراسات إلى أنّ الفرد، لكي يكون شخصية قوية فعّالة في مجتمعها، مسهمة مع الباقين في بناء كيان مجتمعها ووطنها. وقد أشارت هذه الدراسات إلى أنّ على (الشخصية) أن يسهم هو في بناء شخصيته، وأن يسهم النظام الديني على مساعدته في بناء شخصيته، وكان الفكر الإسلامي مسهما فاعلا في ذلك، إذ يشجع (الشخصية) إلى اكتساب عناصر القوة، ويقدم لهل الأسس لبناء (الشخصية) السوية القوية، التي يريدها الإسلام، إذ نّ بناء الانسان قبل بناء الأوطان، وهو مطلب انساني ربّانين إذ إنّ البيّ صلى الله عليه وآله وسلم بدأ بتربية الروح والعقل، وبادر بهدم كلّ معلم من معالم الجاهلية، وتحرير العقول من الأوهام ومن العبودية ومن التخلّف.

إنّ بناء الانسان بناء متكاملا ومتوازنا من جميع الوجوه من أصعب العمليات التربوية واشقّها، ولكنّها، في الوقت نفسه، مهمة جدا، ولا بدّ منها، فلا يتخيّل التقدّم إن لم يكن الانسان نفسه متقدّما، ولا يتخيّل تطوّر إن لم يكن الانسان متطوّرا، وقابلا لتطوير قدراته وتنميتها، ولا يتخيّل تغيّر في المجتمع بكامله، إن لم يكن يقابله تغيّر في فكر وعقل من يراد منه إحداث التغيير في المجتمع، لذا كان لزاما على الانسان أن يحرص على بناء نفسه وتطويرها وتهذيبها في مختلف الجوانب: التعليمية والمعرفية والنفسية والاجتماعية وغيرها من الجوانب المهمة، التي هي بمجموعها من ناج المجتمع، وما هو سائد فيه من قنوات المعرفة[1].

فأيّ مشروع نهضة لا بدّ من أن يكون الانسان، فيه، هو محور الاهتمام، واللبنة الأولى في تأسيس هياكل هذا المشروع وتشييده.

فالإنسان، في الإسلام، سيد المخلوقات، وقد سخّر الله تعالى له كلّ ما في السماوات وما في الأرض، وخصّه بملكة العقل والبيان، لذا فقد حظي بالجانب الأكبر

من القرآن الكريم عقيدة وشريعة ومنهجا وأخلاقا ونفسيا:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[٥].

وقد حقّق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هذا البنيان فأقامه على دعامات من التكامل والتعادل والتوازي بين الدنيا والآخرة[٦]، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٧]، فكانت تربية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مثالا يحتذى، وإنجاز يقتدى به في بناء الإنسان[٨]، إذ لم يغب عنه جانب من جوانب الشخصية المتعدّدة، فقد اهتمّ صلى الله عليه وآله وسلم بتنمية الانسان جسميا ونفسيا و خلقيا وجماليا وفكريا واجتماعيا وانسانيا، ذلك أنّ عملية البناء العظيم للمجتمع لا يمكن أن تتم من غير تطوير الانسان من جميع الجوانب، فنظر إليه على أنّه كائن اجتماعي يعمل، إذا بني بناء سليما، بوعي على تكوين الحياة الاجتماعية، ومن ثمّ الإنسانية، ويطوّر نفسه في الوقت نفسه على أنّه شخصية منسجمة ومتكاملة[٧]، تعتمد الأسلوب العلمي طريقا لإدراك العلاقات بين الظواهر المختلفة، متخذا، في الاجتماعي، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وفي الجانب الإنساني، معيار الإيمان واستقامة العمل طريقا لذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٩].

فنظر إلى الانسان نظرة علمية بعيدة عن اللون والجنس والانتماء القبيلي والوضع الاقتصادي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١٠]. وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا فضل لعربيّ على عجمي، ولا لعجمي على عربيّ إلّا بالتقوى))[١١]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه))[١٢]، إذ كان المسيحيون واليهود والوثنيون، على حدّ قول (مارك سايس)، يعملون في خدمة الحكومة، وعلى هذا النحو كانت الحلقات العلمية، إذ كان العلماء فيها على قدم المساواة بصرف النظر عن مذاهبهم وديانتهم، إذ كانوا إذا اجتمعوا يتناشدون الأشعار، ويتناقلون الأخبار، ويتحدثون في جوّ من الودّ، لا تكاد تعرف منهم أنّ بينهم هذا الاختلاف الشديد في دياناتهم ومذاهبهم[١٣]. وكلّ ذلك ثمرة من ثمار تربية الدين الإسلامي الحنيف الذي كان همّه أن يبني الشخصية الإسلامية بناء سليما نفسيا وذهنيا.

وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام قد اتخذوا جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة، ومنارا يهتدى

به، ويسلكون الطريق الذي سلكه لبناء الانسان القادر على بناء مجتمعه البناء الصحيح، فكانوا، بذلك، خير مجسّد، وأعظم مصداق لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١٤]. ولا غرابة ولا شكّ في ذلك، إذ إنّهم الامتداد الطبيعي لجدّهم صلى الله عليه وآله وسلم، ينهلون من هذا المنهل الرباني الصافي.

ولا أريد أن أتحدّث، هنا، على جهود أئمة أهل البيت عليهم السلام جميعا في بناء الشخصية الاسلامية التي أرادها الله تعالى للناس أجمعين، ولكن أريد أن أبيّن إسهامات الامام عليّ الهادي عليه السلام وجهوده في مواصلة طريق آبائه وأجداده للحفاظ على البناء الذي حدّدوا معالمه، ووضعوا أسسه اعتمادا على ما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾[١٥]، إذ إنّ كمال الدين تحقيق للكمال في بناء الانسان. وأحاديث جدّهم المختار صلى الله عليه وآله وسلم، التي تتضمن المعاني السامية لبناء الشخصية الإسلامية، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا))، وقال: صلى الله عليه وآله وسلم: ((المؤمن يحفظ أخاه المؤمن في حضوره وغيابه))، متخذا لبلوغ هذه الغاية ما أثر عن الامام عليّ الهادي عليه السلام من زيارات وخطب ورسائل وحكم، منبّها إلى أنني أخذت هذه النصوص من الجزء الثالث والثلاثين من (موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام للشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله).

فقد استطاع الامام الهادي عليه السلام، لبلوغ هذه الغاية- بناء الانسان- أن يتكيّف للمناخ الجديد بأصالة ومرونة، ويتعامل معه بالحكمة وحسن التأني للأمور، ويقابل الأحداث بصلابة، فيخترق الحواجز التي وضعتها السلطة آنذاك، إذ استطاع عليه السلام أن يبقي على شبكة الاتصالات بينه وبين وكلائه وأوليائه وتلامذته في الأقاليم يبلغون الرسالة ويؤدّون الأمانة[١٦]، فكانوا يمثلون المنطلق الفكري والعلمي للإمام[١٧].

وضع الامام عليه السلام، لحرصه الشديد وبفكره الثاقب، قاعدة فكرية لإقامة بناء الشخصية الإسلامية السليمة إيمانياً وروحياً وفكرياً واجتماعياً، هذه القاعدة تتمثّل بربط المسلمين ربطا فكريا وروحيا بأهل البيت عليهم السلام، بوصفهم الثقل الثاني بعد القرآن الكريم، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل

بيتي))[١٨]، فكان عليه السلام حريصا على أن يبيّنن بزياراته وخطبه ورسائله، مكانتهم الدينية والعلمية والاجتماعية، التي فاقوا بها جميع المسلمين، لتقديمهم إلى الأمة الإسلامية مثالا يحتذى، ومنارا واجب الاتباع، يترسمون خطاهم سلوكا وقولا، ليكون بناء شخصياتهم قائما على الأسس السوية، التي أرادها الإسلام، موضحا السبيل الذي سلكه أهل البيت عليهم السلام، ولتكون صفاتهم مواد بناء لكيان شخصياتهم الإسلامية الرسالية.

وهذا الطرح نلمسه بوضوح في نصّ (الزيارة الجامعة)، التي أثرت عنه عليه السلام، وفيها، من عناصر كيان الشخصية الإسلامية، شيء كثير، إذ إنّنا نجد فيها سمات الدعاة إلى الله، وهذه السمة لا تكون إلّا اذا كان الدعاة قد توافرت لهم الأمور التي تجعل لهم مكانة في نفوسهم، ويتخذونهم قدوة، وتكون هذه سمة من سمات شخصيتهم الإسلامية.

قال الامام عليه السلام: ((السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته)).

ويقول عليه السلام فيها: ((أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والباب المبتلى به الناس. من أتاكم فقد نجا، ومن لم يأتكم فقد هلك، إلى الله تدعون، وعليه تدلّون، وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، والى سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون)).

فالإمام عليه السلام عرض النموذج المثال بصفاته المتعددة، ودعا، كما هو مفهوم من السياق، إلى أن تكون هذه الصفات من مكونات كيان الشخصية الإسلامية الرسالية، وهو ما حرص عليه الامام عليه السلام وفق أركانه وتفاصيله.

ومتى كان الانسان متصفا بكلّ هذه الصفات كان قويّا صلبا في أداء المهام التي توكل إليها، وهي، بالتالي، قادرة على أن تبني مجتمعا قويّا سليما، لا تأخذه بالله لومة لائم، لأنّ أسسه تكون اقوى كلما قوي إيمانه، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ((المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف))[١٩].

وقد ترتبت على هذه الصفات أمور أخرى، أكّد عليه السلام، فيها، على ارتباط أهل البيت عليهم السلام

بالله تعالى، وقوة إيمانهم به، وهذا ما يشير إليه قوله عليه السلام: ((فعظّمتم جلاله، وأكبرتم شأنه، ومجّدتم ذكره، ووكّدتم ميثاقه، وأحكمتم عقد طاعته، ونصحتم له بالسرّ والعلانية، ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة، وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حقّ جهاده، حتى أعلنتم دعوته، وبيّنتم فرائضه، وأقمتم حدوده ونشرتم شرائع أحكامه، وسننتم سنّته، وصرتم في ذلك منه إلى الرضا، وسلّمتم له القضاء، وصدّقتم من رسله من مضى)).

فالإمام عليه السلام، في هذه الفقرة من الزيارة، قدّم للمسلمين صورة رائعة عكست، بوضوح، ما تحلّى به أئمة اهل البيت عليهم السلام من صفات، عكست الجانب الجهادي لهم، الذي خاضوه لرفع كلمة التوحيد، والذبّ عن قيم الإيمان والإسلام.

فهو عليه السلام لا يريد بذكر هذه الصفات إلّا لأن يقدّم أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصفهم النموذج الذي يجب أن يبنى عليه كيان الشخصية الإسلامية، وتكوّن ملامح صورتها، لضمان بناء المجتمع الإسلامي بناء سليما قويّا شامخا، مرتبطا بالله تعالى، لا يتردد أفراده في تقديم أرواحهم خالصة لوجه الله تعالى، لا يبغون، كأهل البيت عليهم السلام ، الأجر والجزاء إلّا من الله تعالى.

وتأكيد الامام عليه السلام على ارتباط الشخصية الإسلامية بأهل البيت عليهم السلام هو تأكيد على ارتباطها بالله تعالى، فهو، بذلك، يسعى إلى تربيتها تربية روحية، تجعلها دائمة الشعور بوجودها في حضرة الله تعالى، ذاكرة لنعمه عليها، لا تجد ملجأ إلّا إليه، ولا عاصم لها من الضلالة إلّا هو، وحده لا شريك له. قال عليه السلام مقدمة خطبة من خطبه: ((أحمده على نعمه، وأعوذ به من نقمه، وأستهدي الله الهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، من يهدي الله فقد اهتدى، وسلك الطريقة المثلى، وغنم الغنيمة العظمى. ومن يضلل الله فقد حاد عن الهدى، وهوى إلى الردى، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله المصطفى)).

فالإمام عليه السلام، تربية للشخصية الإسلامية، يريد لها أن تكون راغبة فيما عند الله تعالى، عائذة به مما فيه سخطه ونقمه، سالكة الطريقة المثلى، حاصلة على الغنيمة العظمى.

ومن سعي الامام عليه السلام إلى تربية الشخصية الإسلامية تربية روحية أنّه يصرّ، في أدعيته

وخطبه، على أن يجعلها متوجهة توجّها واعيا إلى الله تعالى، لتكسب الأمان، وهي تلوذ به، وتغنم مما عند الله تعالى من نعم كثيرة، وهي ترغب إليه، وتسلم، وهي تقصد بابه. كلّ ذلك يجعل الشخصية الإسلامية، كما أراد الامام عليه السلام لها بتربيتها التربية الروحية، شاعرة بصفاء الذهن، والراحة النفسية، ما يجعلها تمارس واجباتها الشرعية والاجتماعية ممارسة تفضي بها إلى بناء مجتمع قادر على الثبات بوجه كلّ العواصف وحركات التخريب والانحراف.

وهذه التربية الروحية المتمثّلة بالارتباط بالله تعالى، وبآل البيت عليهم السلام بوصفها سمة من سمات الشخصية الإسلامية، نجدها في كثير من أدعيته الشريفة، التي هي بمثابة دروس تربوية في كثير من ميادين الحياة، ووسيلة من وسائل اختراق الحواجز والعقبات، إذ إنّ الامام عليه السلام يؤكد، في أدعيته، على توحيد الله تعالى، وتمجيده، والاعتصام به، والالتجاء إليه بكلّ نازلة وشدّة.

وهذا السعيّ الحثيث لجعل الشخصية الإسلامية مرتبطة بالله تعالى وبآل البيت عليهم السلام ينمّ عنه تكرار (حرف النداء)، إذ إنّ حرف النداء (يا) يجعل المنادى مقبلا على المنادى غير منصرف عنه ولا مشغول.

هذا فضلا عن المضامين التي يسعى الامام عليه السلام إلى أن يجعلها تستقرّ في كيان المسلم، ليجعله كيانا تتردد بين جنباته صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، لتكون شخصية تشعر بالاطمئنان والهدوء، ويزداد فيها الإيمان بقدرة الله تعالى، فتكون، بهذا الاطمئنان والإيمان، قادرة على أن تؤدي عملها، وتلعب دورها بثبات، ما تحقق به اتقان العمل، وإنسانية الغاية والهدف.

وهذا التكرار واضح بيّن في دعائه عليه السلام عقب صلاة الفجر: ((يا كبير كلّ كبير، يا من لا شريك له ولا وزير، يا خالق الشمس والقمر المنير، يا عصمة الخائف المستجير، يا مطلق المكبّل الأسير، يا راحم الشيخ الكبير، يا نور النور، يا مدبّر الأمور، يا باعث من في القبور، يا شافي الصدور، يا منزل الكتاب والنور... يا من يزيل بأدنى الدواء ما غلظ من الداء، يا من إذا وعد وفى، وإذا توعّد عفا، يا من يملك حوائج السائلين، يا يعلم ما في ضمير الصامتين، يا عظيم الخطر، يا كريم الظفر، يا من له وجه لا يبلى، يا من له ملك لا يفتى...)).

ونجد هذا التكرار في دعائه عليه السلام بعد صلاة العصر، يقول فيه: ((يا من علا فعظم، يا من تسلّط فتجبّر، وتجبّر وتسلّط، يا عزّ فاستكبر في عزّه، يا من مدّ الظلّ على خلقه...)).

والامام عليه السلام، وهو في الوقت الذي يسعى فيه إلى أن يجعل الشخصية الإسلامية مرتبطة بالله تعالى، يسعى إلى أن يجعلها مرتبط بأهل البيت عليهم السلام بوصفهم الدعاة إليه، والأدلاء عليه، وهذا السعي لربطها بأهل البيت عليهم السلام ينمّ عليه تكرار الصلاة عليهم في الدعاء نفسه، حيث يقول: ((فصل على محمد وآله، واهدني من عندك، وأفض عليّ من فضلك، وانشر عليّ من فضلك...)).

ويقول بعد ذلك في الدعاء نفسه: ((اللهم فصل على محمد وآله، وعجل فرجي، وأقلني عثرتي، وارحم عبرتي...))، ويقول: ((وصل على من به فهّمتنا، وهو أقرب وسائلنا إليك ربّنا، محمد وآله وعترته الطاهرين)).

وسعيّ أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى جعل ذكر محمد وآله عالقا في اذهان المسلمين، دفعهم إلى أن يردّدوا الصلاة عليهم، وهذا ما لاحظناه في أدعية الإمام عليّ الهادي عليه السلام السابقة، ونلحظه واضحا في أدعية الصحيفة السجادية، وبخاصة في دعاء (مكارم الخلاق)، إذ يجد القارئ أنّ كلّ فقرة من فقرات الدعاء مبدوءة بالصلاة على محمد وآل محمد، على النحو الآتي:

((اللهم صل على محمد وآله، وبلّغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين... اللهم صل على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلّا حططتني عند نفسي مثلها... اللهم صل على محمد وآله، ومتّعني بهدى صالح لا استبدل به، وطريقة حقّ لا أزيغ عنها... اللهم صل على محمد وآله، وأبدلني من بغضة أهل الشنئان المحبّة، ومن حسد أهل البغيّ المودّة...))[٢٠].

وهذا التكرار يجعل ذكر محمد وعترته عالقا في أذهان المسلمين، وشخصياتهم ماثلة أمام أعينهم فكرا وسلوكا، ما يدفعهم شعوريا ولا شعوريا إلى أن يتخلّقوا بأخلاقهم، ويسيروا بسيرتهم، ما يسهم في بناء كيان شخصياتهم بناء إسلاميا أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ومن الوسائل التي اتبعها الامام الهادي عليه السلام لجعل الشخصية الإسلامية مرتبطة بأهل

البيت عليهم السلام، التوسّل بهم وتقديمهم بين يدي الحوائج، من ذلك ما ورد في دعائه عليه السلام بعد صلاة العصر: ((يا من علا فعظم، يا من تسلّط فتجبّر، وتجبّر وتسلّط، يا من عزّ فاستكبر في عزّه... أسألك بحقّ وليّك عليّ بن أبي طالب، وأقدّمه بين يدي حوائجي أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تعينني به على قضاء حوائجي ونوافلي وفرائضي وبرّ إخواني، وكمال طاعتك يا أرحم الراحمين)).

ومن توسله عليه السلام، وهو يزور جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، قوله: ((جئتك عارفا بحقّك، مستبصرا بشأنك، معاديا لأعدائك ومن ظلمك، ألقى على ذلك ربّي إن شاء الله. يا وليّ الله إنّ لي ذنوبا كثيرة، فاشفع لي إلى ربّك يا مولاي، فإنّ لك عند الله مقاما محمودا معلوما، وإنّ لك عند الله جاها وشفاعة، وقد قال الله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾.

وقد حدّد الإمام عليه السلام، وهو يخاطب جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كثيرا من ملامح الشخصية الإسلامية في زيارته الغديرية، إذ إنّ مخاطبته تلك هي بيان لتلك الملامح، وهذا البيان، في الوقت نفسه، دعوة للمسلمين إلى أن يتحلوا بهذه الصفات، وهي صفات عرفها فيه المسلمون منذ إسلامه، بوصفه أول من آمن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((هذا عليّ بن أبي طالب أول الناس إيمانا))[٢١]، مرورا بتضحياته في سبيل رفعة راية الإسلام والذود عنه حتى شهادته.

وإلى هذا المعنى أشار الامام عليّ الهادي عليه السلام بقول: ((وأنت أول من آمن بالله، وصلى له، وجاهد، وأبدى صفحته في دار الشرك، والأرض مشحونة ضلالة، والشيطان يعبد جهرة... ولك المواقف المشهودة، والمقامات المشهورة، والأيام المذكورة يوم بدر ويوم الأحزاب... ويوم أحد... ويوم حنين... ويوم خيبر... وأشهد أنّك لم تزل للهوى مخالفا، وللتقى محالفا، وعلى كظم الغيظ قادرا، وعن الناس عافيا غافرا، وإذا عصي الله ساخطا، وإذا أطيع الله راضيا، وبما عهد إليك عاملا... لا تحفل بالنوائب، ولا تهن عند الشدائد، ولا تحجم عن محارب، أفك من نسب غير ذلك إليك)).

فإثبات فضائل الامام عليّ عليه السلام، وبيان قوة شخصيته وإيمانه تقوية لارتباط المسلمين به عليه السلام، ودعوة إلى اتخاذه قدوة حسنة. والامام الهادي عليه السلام، بذلك، يشير إلى أنّ الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بشخصيته القوية، وملامحها المتكاملة، هو الأكفأ لقيادة الأمة، وهو،

أيضا بذلك، يضيف إلى مكونات الشخصية الإسلامية عناصر قوية، يكون الامام عليّ عليه السلام قدوة لهم، يتخذونه إماما يتبعون خطواته، ويحاولون تجسيد صفاته بسلوكهم. وبذلك يكون الامام عليه السلام قد رسم ملامح الشخصية الإسلامية، التي يجب أن تكون في كلّ مسلم.

وهذا الحرص الشديد والرغبة في استمرار ارتباط المسلمين باهل البيت عليهم السلام بوصفهم حاملي الفكر الإسلامي، ومجسدي هذا الفكر سلوكا وأقوالا، نلحظ هذه الرغبة في كلامه وهو يزور جدّه أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام، حيث يقول: ((اللهم وصلّ على وليّك، وديان دينك، والقائم بالقسط من بعد نبيّك عليّ بن ابي طالب، أمير المؤمنين، وإمام التّقين، وسيد الوصيين، ويعسوب الدين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقبلة العارفين، وعلم المهتدين، وعروتك الوثقى، وحبلك المتين، وخليفة رسولك على الناس أجمعين، ووصيّه في الدنيا والدين، الصديق الأكبر في الأنام، والفاروق الأزهر بين الحلال والحرام، ناصر الإسلام، ومكسر الاصنام، معزّ الدين وحاميه، وواقي الرسول وكافيه، المخصوص بمواخاته يوم الإخاء، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى)).

فالإمام عليه السلام أراد من الصورة التي رسم ملامها لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام أن تكون دعوة إلى أن تكون ملامحها ملامح صورة الشخصية الإسلامية.

والامام عليه السلام، وهو يضع الأسس السليمة لبناء الشخصية الإسلامية، يؤكد على أن تكون عناصر البناء مقتبسة من شخصيات أهل البيت عليهم السلام، وذلك باتباعهم والتمسك بهم، وهذا الأمر دأبوا عليه بعد جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من ذلك ما جاء في جواب الامام عليه السلام على من شكا إليه الفقر، حيث يقول: ((إنّ الله عزّ وجلّ يمحّص أوليائنا إذ تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير، وهو كما حدّثت نفسك، الفقر معنا خير من الغنى مع عدوّنا، ونحن كهف من التجأ إلينا، ونور لمن استضاء بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، ومن أحبّنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار)).

وقد أولى الامام عليه السلام، وهو يضع لبنات بناء كيان الشخصية الإسلامية العلاقات الاجتماعية أهمية كبيرة، لما لهذا الجانب من أهمية في بناء التكامل الاجتماعي، لذا فهو عليه السلام يدعو إلى أن تتحلى الشخصية الإسلامية بكلّ خلق سام، وسلوك حسن، وله، في ذلك، دافع كبير، إذ إنّ القرآن الكريم، وهو يضع أسس بناء المجتمع السليم، قد أكّد على هذا

الجانب، ووصف النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله مخاطبا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢٢]، وإنّ النبيّ الكريم أكّد على ذلك أيضا، إذ قال: ((إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

فالإمام عليه السلام يدعو إلى أن تتحلى الشخصية الإسلامية بكل ما يزينها، ومما يزيد الفرد حسن الخلق، إذ إنّ التحلي بحسن الخلق من شأنه أن يجعل الشخصية المسلمة عنصرا فاعلا في بناء مجتمع سليم، تسوده الإلفة والمحبّة والتسامح، وتجعل أفراده يشعرون بالأمن والأمان، وبذا يكون أفراده قادرين على بناء مجتمعهم بناء سليما قويا إذا سادت بين أفراده الأخلاق السامية، ذلك أنّ من أعظم الرزايا سوء الخلق، الذي يلقي بالمجتمع في شرّ عظيم.

قال الإمام عليه السلام: ((شرّ الرزية سوء الخلق)).

ومن أجل أن يطهّر الامام عليه السلام النفس البشرية من سوء الخلق، ويجنبها تبعات ذلك، دعا إلى إصلاح النفس واستقامتها، وعدم غرورها، فإنّ الانسان، إذا ذكر نهايته في الحياة، وما سيؤول إليه فإنّه لا يطغى، ولا يعتدي على الآخرين، ولا يراهم أقلّ منه مكانة: ((كفى بالموت لك واعظا))[٢٣].

فالإمام عليه السلام نظر إلى النفس واصلاحها، والعمل على استقامتها، بوصفها المنطلق الذي ينطلق منه الانسان في سلوكه، والمؤثّر الفعّال في تعامله مع الآخرين، والمحدّد الرئيس لمواقفه مما يحدث في مجتمعه.

فإن كان النفس سوية، طاهرة السريرة كان الخير منها والصلاح والإصلاح والبناء، وإلّا فلا يصدر منها إلّا ما لا خير فيه ولا صلاح، إذ إنّها سائقة صاحبها إلى حيث ما يناسب طبائعها وما جبلت عليه، لذا حرص الامام عليه السلام على إصلاح النفس، والعمل على استقامتها. وكان تذكيرها بمصيرها كابحا لها، وحائلا بينها وبين غوايتها. قال لبعض أصحابه: ((اذكر مصرعك بين أيدي أهلك، حيث لا طبيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك))، وكأنّه يريد أن يعظه، ويدعوه وغيره إلى إصلاح نفسه قائلا له: ((كفى بالموت لك واعظا)).

ومن صلاح النفس تفريغها من كلّ ما يشوّه صورتها، ويجرّ على المجتمع بلاء وشرّا، وتعبئتها بكلّ ما يبعد المجتمع عن الاستقرار والهدوء اللذين يتيحان لأبنائه فرص النهوض بمجتمعهم.

والامام عليه السلام يرشد المسلمين رفيع الصفات، ويدعوهم إلى التحلّي بها، إذ إنّه عليه السلام ذكر في مجموعة من كلماته، التي وصفت بـ (الكلمات الذهبية)، وأنّها تعدّ من أروع الثروات الفكرية في الإسلام، إذ إنّه عليه السلام وضع بها أسسا لبناء الشخصية الإسلامية تربويا وأخلاقيا ونفسيا.

ففي بعضها يشير الامام الهادي عليه السلام إلى ضرورة تحلّي الشخصية الإسلامية برفيع الصفات وأحسنها، مستعملا اسم التفضيل للإشارة إلى أهميتها وفاعلية من اتصف بها في بناء المجتمع، ليؤكّد رجاحة ما يدعو إليه، وسمو ما يجب أن تتحلّى به الشخصية الإسلامية من صفات.

قال عليه السلام: ((خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله)).

فإذا كان الناس ينظرون إلى الخير والجمال والعلم نظرة إجلال وإكبار، وأن لا شيء، في أبوابها، أرفع منها وأعلى شأنا، فإنّ هناك ما هو أرفع منها وأعلى: فاعل الخير، وقائل الجميل، وحامل العلم، وهذا ما دلّت عليه أسماء التفضيل: (خير، وأجمل، وأرجح)، ليؤكّد الامام عليه السلام، بذلك، على ضرورة جعل هذه المعاني لبنات في بناء الشخصية الإسلامية، لتتكوّن ملامح صورتها، التي يريد الامام عليه السلام أن تكون متكاملة الملامح كما أراد الله تعالى لها أن تكون.

ومن الصفات التي دعا إلى أن يتحلى بها كلّ فرد، والتي ترقى بالإنسان عامة، وبالشخصية الإسلامية خاصة (الحلم)، إذ إنّ على الفرد المسلم أن يروض نفسه على ما يجعله متصفا بهذه الصفة، وأن يكون قادرا على امتلاك نفسه، وكظم غيظه، وبخلافه تكثر المشاكل داخل المجتمع الإسلامي، ويتفكك، وتجعله ضعيفا. قال الامام عليّ الهادي عليه السلام: ((الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك، ولا يكون ذلك إلّا مع القدرة)). فمن ملك نفسه، وكظم غيظه سعدت به نفسه، وسعد به مجتمعه.

ولكي تكون صورة الشخصية الإسلامية صورة تجذب الآخرين، وتكسب احترامهم، لتكون مثالا وقدوة، دعا الامام عليه السلام إلى النظافة والتجمّل، قال عليه السلام: ((إنّ الله يحبّ الجمال والتجمّل، ويكره البؤس والتباؤس، فإنّ الله عزّ وجلّ إذا أنعم على عبده نعمة أحبّ أن يرى عليه أثرها)). فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: ((ينظّف ثوبه، ويطيّب ريحه، ويحسن داره، ويكنس أفنيته، حتى أنّ السراج قبل المغرب ينفي الفقر، ويزيد في الرزق))[٢٤].

ويلتفت الامام عليه السلام إلى مسألة مهمة ذات تأثير سلبي كبير في المجتمع، وهذه المسألة (عقوق الوالدين)، وهي قضية أكّد عليها القرآن الكريم، لما لها من مخاطر على الأسرة والمجتمع. قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٢٥]، لذا أعار الامام عليه السلام هذه المسألة أهمية كبيرة، داعيا إلى أن تتمسك الشخصية الإسلامية بها، وأن ترعاها رعاية خاصة، وأن تكون لبنة في بناء كيانها، إذ إنّ ترك الاحسان إليهما له مضاعفات ونتائج سيئة على الأسرة والمجتمع، منها، كما ذكر الامام عليه السلام، قلّة النسل، وشيوع الذلّة بين أفراد الأسرة.

وإتماما لبناء الشخصية وفق المنهج الإسلامي خصص الامام عليه السلام، في منهجه الإصلاحي، ومنهجه في بناء الشخصية الإسلامية، نصيبا، إذ إنّه عليه السلام سارع، في هذا الشأن، إلى محاربة المعتقدات غير الصحيحة المخالفة للشريعة الإسلامية، من ذلك القول بالتجسيم، لتكون الشخصية الإسلامية ذات معتقد سليم.

روى الصقر بن أبي دلف، قال: ((سألت أبا الحسن عليّ بن محمد عليه السلام عن التوحيد، وقلت له: أنا أقول بقول هشام بن الحكم - وكان يقول، قبل هدايته، بالتجسيم.

فغضب الامام عليه السلام، وقال: ((ما لكم وقول هشام، إنّه ليس منا من زعم أنّ الله عزّ وجلّ جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة. يا ابن دلف إنّ الجسم محدث، والله محدثه ومجسّمه)).

فالإمام عليه السلام، في ردّه، أراد أن يصحح معتقدا ساد بين أوساط بعض المسلمين، لتكون الشخصية الإسلامية مبرّءة من مثل هذه المعتقدات، وهو القول بأنّ الله جسم، إذ إنّ القول بالتجسيم يلزمه أن يكون محدثا محتاجا إلى علّة تفيض عليه الوجود، تعالى الله عن ذلك[٢٦].

ومن الأفكار التي سارع الإمام عليه السلام إلى محاربتها والحدّ من انتشارها في المجتمع الإسلامي، القول بفكرة (الجبر)، التي قال بها الأشاعرة، والقول بفكرة (التفويض)، التي قال بها المعتزلة، وقد سارع الامام عليه السلام إلى إبطالها بالأدلة الدامغة، أثبت بالأدلة العلمية الحاسمة فكرة (الأمر بين أمرين)، وهي الفكرة التي قال بها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتبنوها هم وشيعتهم.

ومن مساعي الامام عليه السلام لتحصين أصحابه من الحركات المنحرفة، وتربيتهم تربية تمكّنهم من مواجهة مثل هذه الظواهر الطارئة، والتي لا تناسب الشريعة الإسلامية، ولا تتفق مبادئها وأصولها معها. فقد نبّه الامام عليه السلام أصحابه، وحذّرهم من جماعة الصوفية، وكشف حقائق أنفسهم، وبهذا التنبيه والتحذير أبعد صورة الشخصية الإسلامية التي أرادها عليه السلام، وعمل على رسم ملامحها. قال الامام عليه السلام محذرا من اتباعهم والاعتقاد بهم، ناهيا عن إعانة أمثال هذه الجماعة أو واحد منهم، قال عليه السلام: ((والصوفية كلهم مخالفون لنا، وطريقتهم مغايرة لطريقتهم... أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون))، ومبيّنا ما يؤول إليه أمر من يعينهم أو يزورهم. قال الامام عليه السلام: ((فلا يتبعهم إلّا السفهاء، ولا يعتقد بهم إلّا الحمقاء، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حيّا أو ميّتا فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان، وعبادة الأوثان، ومن أعان واحدا منهم فكأنّما أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان)).

وبذا يكون الامام عليه السلام بيّن زيف الصوفية، وأنّهم لا نصيب لهم من الدين، وأنّهم حملوا معاول الهدم على الإسلام في سلوكهم المنحرف الذي أضافوا إلى الدين، وهو منه بريء[٢٧].

وفي الوقت الذي يحرص فيه الامام عليه السلام على أن تكون الشخصية الإسلامية ناصعة الصورة، لا تشوبها شائبة، وذلك بالتنبيه من الحركات الفكرية المنحرفة، نجده يضع ملمحا جديدا لإكمال ملامح الشخصية الإسلامية، وذلك بأن يحدد بعض معالم العلاقات السليمة، ّذ إنّ من الخير للفرد والمجتمع أن يطاع من سلمت سريرته وطهرت، وبان ودّه للآخرين، فهو، لودّه، ناصح أمين، وذو رأي سديد، ناظرا إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((المستشار مؤتمن، فإذا استشير فليشر إلى ما هو صانع لنفسه)).

وهذا من معالم صلاح النفس (الشخصية الإسلامية) وقوة المجتمع. قال عليه السلام: ((من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك))[٢٨].

رضا الانسان عن نفسه امر غير مرغوب فيه، وينمّ عن عدم إدراك حقيقة الانسان الضعيف ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾، ورضا الانسان عن نفسه لا يورث إلّا سخط الناس عليه، وكراهيتهم له، وبذا يفقد قيمته في المجتمع، وجعل منه عنصرا غير فاعل في المجتمع.

يضاف إلى ذلك أنّ رضا الانسان عن نفسه يحول بينه وبين العمل على تطويرها، وتحسين سلوكها، ونفي الجمود والخمول عنها، لذا أراد الامام عليه السلام أن تكون الشخصية الإسلامية طموحة، لا ترضى بما تنجزه، دفعا لنظرة المجتمع السلبية إليها.

قال الامام عليه السلام منبها إلى ضرورة أن تكون الشخصية الإسلامية طموحة غير خاملة، ولا ترضى بالقليل من الإنجاز: ((من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه)).

واستمرارا في المشروع الإصلاحي الذي تبناه الامام الهادي عليه السلام، ومواصلة للطريق الإصلاحي الذي سلكه آباؤه، شخّص كثيرا من الأدواء الاجتماعية، ونبّه عليها، وحرص على معالجتها، ومحذّرا المسلمين من خطورتها على مجتمعهم، داعيا إلى أن تكون الشخصية الإسلامية بعيدة عنها، مجافية لها، محاربة إيّاها.

من هذه الأدواء للاجتماعية إعجاب المرء بنفسه، والافتخار بها، إذ إنّ هذه الصفة تجعل المرء منعزلا عن مجتمعه، وهذا الانعزال مخالفا لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، الذي سعى جاهدا إلى أن يجعل المسلمين إخوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢٩]، وأن يكونوا صفّا واحدا كالبنيان المرصوص، وكالجسد الواحد. قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّما المؤمنون في توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى)).

فإعجاب المرء بنفسه، بوصف الفرد عنصرا من عناصر كيان المجتمع، يضعف هذا الكيان، ويوجب المقت والكراهية، وهذه ملامح لا يريد الامام عليه السلام أن تكون من ملامح الشخصية الإسلامية، التي حرص هو وآبائه من قبله على أن تكون ملامحها دالة على أن هذه الشخصية زين للدين ومجتمعه.

قال الامام عليه السلام بعد أن قرن الزهو والعجب بالحسد: ((الحسد ماحق الحسنات، والزهو جالب المقت)).

فهذه الصفة جرثوم ينخر في جسد المجتمع إذ إنّ إعجاب المرء بنفسه، كما قال الامام عليه السلام يصرفه عن طلب العلم، ويجعله متخبّطا في الجهل، ما يجعل المجتمع يخسر عنصرا من عناصره، ويفوّت عليه فرصة من فرص التطوّر.

قال الامام عليه السلام: ((العجب صارف عن طلب العلم، داع إلى التخبّط في الجهل)).

وصفة سلبية أخرى شخّصها الامام عليه السلام في المجتمع، وهي صفة لا تقلّ خطورة عن غيرها من الصفات السلبية الأخرى، ولا تختلف عنها في تأثيرها السلبي على المجتمع الإسلامي وقوة كيانه وتماسكه، هذه الصفة هي الاستهزاء بالناس، والاستخفاف بهم، وهي صفة من شأنها أن تفكك كيان المجتمع، وتجعله عرضة لكلّ طامع، ويحرم أبناءه العيش بهدوء وسلام، لذا نبّه الامام عليه السلام إلى خطورة هذه الصفة، واصفا إيّاها بانّها (فكاهة السفهاء، وصناعة الجهّال)، وهو وصف يشير إلى قبح هذه الصفة، والى أثرها السلبي في المجتمع، والسفاهة والجهل ليسا من صفات الشخصية الإسلامية، بل هي من صفات السفهاء والجهّال، وبذا يكون الامام عليه السلام يعطي الشخصية الإسلامية صورتها الحقيقية، التي أرادها الإسلام.

قال الامام عليه السلام: ((الهزء فكاهة السفهاء، وصناعة الجهّال)).

ولكي تبقى الشخصية الإسلامية محافظة على رزانتها ووقارها نهى الامام الهادي عليه السلام، عن أن يكون التملّق من سماتها، إذ إنّ الإسلام يبغض التملّق، لأنّه يضعف الشخصية، والامام عليه السلام يريد، بقوله هذا، أن يبني شخصية قوية، لا تركن الخضوع والذلّ، وأن تكون، في جميع مراحل حياتها، عزيزة مهابة.

قال الامام عليه السلام، بعد أن أثنى بعض أصحابه عليه، وأكثر من تقريضه، والثناء عليه: ((إنّ كثرة الملق تهجم على الظنّة، وإذا حللت من أخيك محلّ الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النيّة)).

فالإمام عليه السلام، يعالج ظاهرة الملق في العلاقات الاجتماعية، وفي الوقت نفسه يربي أصحابه تربية تحفظ للمسلم هيبته ورزانته، ويحفظ كرامة نفسه، إذ إنّ الملق يؤدّي بها شعوريا ولا شعوريا إلى الخضوع والذلّ، وهذا ما لا يريده أئمة أهل البيت عليهم السلام، لذا فإنّ الإمام الهادي عليه السلام، استمرارا في نهج آبائه، ينهى عن الملق مبيّنا ما يترتب عليه من نتائج، تتمثّل، في بعض صورها، بفقدان المسلم قيمته الاجتماعية عندما يبدو أمام الآخرين، بملقه، خاضعا ذليلا. وهذا يعني أنّه عليه السلام لا يريد للشخصية الإسلامية أن تبدو بهذه الصورة، صورة الذليل الخاضع، التي لا يرضاها الإسلام لكلّ مسلم.

ومن الأدواء الاجتماعية التي حرص الإمام عليه السلام على تخليص المجتمع منها، وهو يثبت ملامح صورة الشخصية الإسلامية، المراء والمجادلة، التي توجب انفصام عرى الصداقة، وانحلال المودّة، وشيوع البغضاء والكراهية، وهي من أبرز أسباب ضعف المجتمع وتفككه.

قال الامام عليه السلام: ((المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة)).

وبهذا القول شخّص الامام عليه السلام النتائج التي تتولّد من المراء، ذاهبا إلى تحذير المسلم من أن تكون هذه الصفة ملمحا من ملامح شخصيته الإسلامية، التي يراد منها بناء الكيان الإسلامي على أسس سليمة، مبرّء من كلّ ما يفسد المجتمع الإسلامي، ويضعف أركانه.

والامام عليه السلام، وهو يعالج ما شخّصه من الأدواء الاجتماعية، يشير إلى ظاهرة شاعت في المجتمع الإسلامي، وهي (العتاب)، منبّها إلى أنّها، إذا لم يحسن المعاتب أسلوبه، وبدا متعاليا وهو يعاتب الآخرين، فإنّ عتابه سوف يؤدي إلى الشحناء والبغضاء. وهذا التنبيه بمثابة دعوة إلى أن يكون هذا الميل (العتاب) المشفوع بالكلام الطيّب، والأسلوب الحسن من ملامح صورة الشخصية الإسلامية.

قال الامام عليه السلام: ((العتاب مفتاح التعالي، والعتاب خير من الحقد)).

ويهدي الامام الهادي عليه السلام الشخصية الإسلامية إلى طريق السلامة، ويبعد عنها ما يؤدي بها إلى الندامة، نهاها عن الإلحاح في طلب الشيء، نهاها عن (اللجاجة)، مؤثرا لها التأنّي وعدم التسرّع، ففي ذلك السلامة، وقد قيل: ((في التأني السلامة، وفي العجلة الندامة))، وقيل: ((اللجاجة تسلّ الرأي)).

ومن الأمور التي تؤثر في العلاقات الاجتماعية سلبا، وحذّر منها الامام عليه السلام (الحسد)، إذ إنّ الحاسد لا يرجو خيرا لمن يشاركه العيش في المجتمع، بل إنّه، كما يقال في تحديد الحسد، تمني زوال النعمة عن الآخرين، وهذا التمني تفكيك لعرى العلاقات الاجتماعية، وإضعاف لها، ما يسلب حياة المجتمع الاطمئنان إلى الآخرين، ويبعد الهدوء عن نفوسهم. فبيان الامام عليه السلام خطورة (الحسد) على كيان المجتمع دعوة إلى أن تكون الشخصية الإسلامية نظيفة من هذه الصفة القبيحة، التي تأكل صاحبها قبل غيره.

قال الامام عليه السلام محذّرا: ((إياك والحسد، فإنّه يبين فيك، ولا يعمل في عدوّك)).

فالحسد، كما ورد في قول الامام عليه السلام، ينخر في جسد صاحبه، ولكي يجنّب الامام عليه السلام الشخصية الإسلامية تبعات هذه الصفة، حذّر منها، وبيّن أثرها السلبي على الفرد والمجتمع معا، وهو تحذير يتضمّن دعوة إلى الشخصية الإسلامية أن تتجرّد منها، ضمانا لسلامة المجتمع.

ولضمان سلامة المجتمع من الأدواء التي تؤثر على نواحي حياة المجتمع المتعددة. حذر الامام عليه السلام من داء يشلّ نشاط المجتمع، ويضعف العلاقات بين أفراده، وهذا الداء هو (البخل)، الذي يعدّ من أسوء الأخلاق وأحطّها، كما حذّر الامام عليه السلام من (الطمع)، الذي يعدّ من الصفات الممقوتة، لأنّه يجلب للإنسان

كثيرا من المصاعب والمتاعب، فعلى الشخصية الإسلامية تبعا لذلك، وبناء على ذمّ الامام عليه السلام وتحذيره، ألّا تكون بخيلة، ولا طمّاعة، كي لا تشوّه صفاء صورتها، التي أرادها لها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام عليه السلام: ((البخل أذمّ الأخلاق، والطمع سجيّة سيّئة)).

فهذه صورة الشخصية الإسلامية جمعنا ملامحها من بعض النصوص التي أثرت عن الإمام الهادي عليه السلام، وهي صورة تعكس ملامحها فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأساليبهم في تربية أصحابهم.

هوامش البحث

(١) ظ:الرسول الأكرم وبناء الانسان (بحث).
(٢) لقمان/١٤
(٣) الشورى/٤٨
(٤) فصلت/٥١
(٥) ق/١٦
(٦) القصص:٧٧
(٧) ظ: كتب السيرة النبوية الشريفة: سيرة ابن هشام مثلا
(٨) ظ: الرسول الأكرم وبناء الانسان (بحث)
(٩) فصلت/٣٠

(١٠) الحجرات/ ١٣
(١١) سيرة ابن هشام: ١٧٢/٤ -١٧٤، البيان والتبيين: ٣١/٢ -٣٣، الكامل في التاريخ: ٢١٢/٢ -٢١٣، شرح نهج البلاغة: ١٣٤/١ -١٣٥
(١٢) المعجم المفهرس: مادة (بطأ): ١٨٨
(١٣) ظ: من روائع حضارتنا: ٩٢
(١٤) الأحزاب/٣٣
(١٥) المائدة/٣
(١٦) ظ: الامام علي الهادي عليه السلام - د. الصغير: ٥ -٦
(١٧) موسوعة سيرة آل البيت عليهم السلام: ٢٨١/٣٣
(١٨) صحيح الترمذي: ٣٠٨/٢، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٢٠/٢، فصول في الأدب الإسلامي والأموي: ٢٣٥
(١٩) صحيح مسلم: ٥٦/٨
(٢٠) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٥ -٨٥١.
(٢١) الاستيعاب: ١٩١٠/٤ الحديث: ٤٠٨٨، نقلا من: موسوعة أهل البيت عليهم السلام: ١٨٥/٣٣، روى الطبري بسنده عن أبي إسحاق، قال: ((كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وصلى معه، وصدّقه بما جاء من عند الله عليّ بن أبي طالب، وهو يومئذ ابن عشر سنين)) (ظ: تاريخ الطبري: ٧٥/٢).
(٢٢) القلم/٤
(٢٣) تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم): ٣٠
(٢٤) بحار الأنوار: ١٤١/٧٣، ظ:
(٢٥) الاسراء/٢٣
(٢٦) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١١١/٣٣
(٢٧) المرجع نفسه: ٥٣/٣٣
(٢٨) تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ٤٨٣
(٢٩) الحجرات/ ١٠

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب - يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ (ت ٤٦٣هـ) - تحقيق محمد البجاوي - (مطبعة نهضة مصر - الفجالة - القاهرة - مصر).

٢. الامام عليّ الهادي عليه السلام النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي - د. محمد حسين علي الصغير - (مؤسسة البلاغ - دار سلوني - لبنان - ط١ - ٢٠٠٨م).

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي - تحقيق ونشر دار إحياء التراث - بيروت (ط٤ - ١٤٠٥هـ).

٤. البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - (مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بمصر - القاهرة - ط٥ - ١٩٨٥م).

٥. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

٦. تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم) - أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع) - قدّم له وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي

٧. - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان - ط٧ - ٢٠٠٢م).

٨. الرسول الأكرم وبناء الانسان (بحث)

٩. السيرة النبوية - ابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي - ٠دار الخير - بيروت - دمشق - ط١ - ١٩١٠م).

١٠. شرح نهج البلاغة - عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني الشهير بابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتاب العربي - العراق بغداد - ط١ - ٢٠٠٥م).

١١. سنن الترمذي - محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ د. ت.).

١٢. الصحيفة السجادية الكاملة - تقديم سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر- (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط١ - ٢٠٠٨م).

١٣. صحيح مسلم الآمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ٢٠٠٠م).

١٤. فصول في الأدب الإسلامي والاموي - أ. د. ليل عبد السادة إبراهيم (دار الفرات للثقافة والاعلام - العراق - بابل - ٢٠٢٢م).

١٥. الكامل في التاريخ - عزّ الدين بن الأثير - تحقيق إبراهيم شمس الدين - شركة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ط١ - ٢٠١١م).

١٦. المصباح - الشيخ إبراهيم بن عليّ الكفعمي (ت ٩٠٥هـ) - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م).

١٧. مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد - الشيخ محمد بن الحسن الطوسي - الناشر مركز بحوث الحج والعمرة - طهران - ١٩٨٧م).

١٨. المعجم المفهرس لألفاظ الشعر الجاهلي ومعانيه - المختار كريم - مكتبة لبنان - ناشرون.

١٩. من روائع حضارتنا - مصطفى السباعي (ت ١٣٨٤هـ) - الناشر دار الوراق للنشر والتوزيع - بيروت).

٢٠. موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام - باقر شريف القرشي - تحقيق مهدي باقر القرشي - دار المعروف مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام - النجف الأشرف - ط٤ - ٢٠١٦م).